المشرق

شهيدا لبنان

الشيخ فيليب والشيخ فريد قعدان الخازن

لسيادة المطران عبدالله الحوري النائب البطريركي الجزيل الشرف

ما أصلتَ الاتراك سيفَ نقمتهم علينا إلّا لصدق وطنيّتنا وشدّة تمسّكنا بامتيازاتنا وفرط حبّنا وإخلاصنا للأمّة الافرنسيّة حامية ذمارنا. وقد تفنّن اولئك الغاشمون في ضروب الانتقام وأماتوا العدد العديد من مواطنينا الكرام شفاء لغليل سخطهم وظنًّا منهم انّهم بتلك وسائل الإرهاب المقوتة يخنقون فينا شعائر وطنيّتنا وعواطفنا وحبّنا لفرنسة. غير انهم خابوا ظنًّا وأخطأوا حدسًا لأنّ صوت شهدائنا الاعزّاء الذين لا ننسى أبدَ الدهر تضحية دمائهم الزكيّة في سبيل الوطن المحبوب لا يبرح يطرق مسامعنا فانهم «وان ماتوا لا يزالون يتكلّمون» (عبر ١١ : ٤) ويدعوننا الى اقتفاء آثارهم المجيدة والنسج على منوالهم بالاستبسال في المحافظة على المبادئ الشريفة مبادئ الشهامة والاستقامة والعدالة والحريّة. وانّ من هؤلاء شهداء الوطن فئةً قد امتازت بمجموع من الصفات الحميدة النرّاء تجعل أسفنا عليها شديدًا وتحملنا على نشر ما انطوى واستطوته الايام منها تخليدًا لذكرها واقرارًا بجميلها كالمأسوف عليهما كلّ الأسف الشيخَين الشقيقين فيليب وفريد قعدان الخازن اللبنانيّين

نشأ هذان الشهيدان في قرية عرامون من اعمال كسروان ورضعا مع الحليب تقاليد العائلة الخازنية واعتبرا طول حياتهما إباء النفس والإخلاص لله وحبّ الوطن وفرنسة اشرف وأمجد ما ورثاه عن الاجداد ولم يكن ذلك في اعينهما بالشيء القليل. فحبُّ الوطن وحبّ فرنسة والتمسّك بالدين والائتمار باوامره والعمل بنواميسه تلك

كانت الصفات الشريفة والحُلية البهيَّة التي تحلّى بها شهيدانا العزيزان وقد كانت ممتزجة مقترنة فيهما الى درجة لم نشأ معها التفريق لا بينها ولا بينهما

ما كاد الشيخ فيليب يبلغ اشدَّهُ حتى نشط للعمل بل للمكافحة والجهاد في سبيل ما كانت توحيهِ اليهِ روحهُ الوطنيَّة فما كان يأتي الاتراك او من حذا حذوهم في بغض الوطن اللبناني مظلمةً او اجحافاً في حقّ الّا ورفع صوتهُ احتجاجاً دون ان يخشى بطش الحكومة وشرّها . وقد قبضت عليهِ حكومة ذلك العهد معتقدةً انها تكمُّ فاه بالإرهاب فازداد جرأةً وواصل الاحتجاج بلسان الصحافة المصريَّة على المظالم التي تحمّلها لبنان في عهد متصرفيَّة واصه باشا . ولم يكن بعد اخوه فريد بلغ من السنّ ما يسمح له بمشاطرته الجهاد في سبيل خير الوطن ومصلحتهِ لكنَّهُ ما شبَّ حتى نهج منهج اخيهِ دون ان يحيد عنه ذرَّةً حتى كان يخيّل للناظر الى الاثنين وللمتقرّب منهما انَّ روحاً واحدةً تنعشهما

من اكبر الآفات ومن اعظمها شرّاً على البلدان انما هو حبُّ الوظائف الذي يُقعد النفوس عن العمل الجدّي ويميل بها الى ايثار المصلحة الشخصية على المصلحة العمومية . وكلٌّ يعلم ما كان من تفشي هذا الداء في تركيا ولبنان وكم كان من ورائه من اذلال النفوس وهضم الحقوق الى غير ذلك مما يُخجلنا ذكرهُ وتبيانهُ . على ان ما خُصَّ بهِ فقيدانا العزيزان من اباء النفس والشهامة وما امتازا بهِ من الحبّ المخلص لوطنهما وقاهما من شرّ ذلك الداء الوبيل فعلما باعتقادهما الراسخ في ذهنيهما من ان الوطنيَّ الحقيقي هو من ترفّع عن المصلحة الشخصية وعاش لوطنهِ لا لنفسهِ وأزدريا بكلّ الوظائف التي كانت تعرضها عليهما الحكومة ليقينهما انها لم تكن تفعل الّا لاكتسابهما بهذه الطريقة وحملها على الإغضاء عن مساوئها لتنتفع ويستفيد البلاد من خدمتهما . وجلُّ ما تمنّياهُ بهذا الشأن وكان مصدرهُ المحبَّة الوطنيَّة انما كان ان ينال احدهما الحماية الافرنسيَّة فيعمل على مصلحة وطنهِ باوفر جرأة في ايّام سار فيها الاستبداد والجور والظلم وخفتَ صوت الحق وكانت ارادة الحاكم هي الشريعة والقانون

وما نالا هذه الأمنيَّة من تعطّفات الحكومة الافرنسيَّة الجليلة بتعيين احدهما فيليب ترجماناً فخريًّا للقنصليَّة العامَّة في بيروت الّا سعياً في تحقيق رغبةٍ اخرى كانت

في اعينها بمكان يُذكر من الاهمية وهي تأسيس جريدة تمكنهما من نشر مبادئهما الشريفة وخدمة مواطنيهما بالدفاع عن حقوقهم وما لبثت رغبتهما هذه ان تحققت وظهرت جريدة الارز فادّت الخدمات الجلّى للدين والوطن وفرنسة نيّفاً وعشرين سنة وقد قيل عنها انها كانت اقرب الجرائد العربيّة الى روح الصحافة

وقد ظلّ منشئاها الفاضلان يدبّجان مقالاتها الشائقة الغراء بكل جرأة ونشاط الى ان سنّ المجلس النيابي التركي قانون الصحافة فاراد حاكم الجبل في ذلك العهد تنفيذهُ في لبنان وتقييد الصحافة به فهبّ الاخوان للمعارضة والاحتجاج على عمل رأيا فيه شديد المساس بامتيازات لبنان لكن فوزهما لم يكن بالامر السهل ايام عَضُد اوربا لفتيان الاتراك عضداً قد دفع بهؤلاء الى هاوية التعصّب الذميم ضد كل العناصر غير التركيّة ولذا لم يُعبأ باحتجاج شيخينا فاوقفت جريدتهما

وكانت صدور الاتراك وصنائعهم لا تزال تلتهب حقداً على الشقيقين لانهما كانا قد قاما حاجزاً منيعاً دون تحقيق رغائبهم في ضمّ لبنان الى السلطنة العثمانية ضمّاً كاملاً يوم قامت تلك الفتنة اللبنانيّة على اثر اعلان الدستور العثماني واخذت تلحّ في وجوب انتخاب مَن يمثّل لبنان في مجلس المبعوثان. وكان الاتراك يرمون من وراء ذلك الى حرمان لبنان استقلالهُ ومنع الدول الاوربيّة بهذه الطريقة من المداخلة في شؤون هذه البلاد . فقطن الشقيقان للامر واشهرا في جريدتهما الارز الحرب الدوان على تلك الفكرة وقد أيّداها بمقالات ضافية تجلّت بها وطنيتهما الحقة ومقدرتهما الكتابية المنطيقيّة اذ بيّنا بالحجج الراهنة والادلّة القاطعة ان لا سبيل الى تمثيل لبنان في المجلس النيابي التركي وهو على ما هو من استقلاله الذاتي الممنوح له بموجب دستور خاصّ موافَق عليه من الدول العظمى . وقد قيّض الله لهما النجاح في الامر وحبطت مساعي الذاهبين فيه غير مذهبهما

وممّا كان ينشط عزيمتها ويثبتهما في الخطة التي اختطّاها لنفسهما انما كان منح حبهما لوطنهما تمسكهما المتين العُرى بحبّ فرنسة وتفانيهما في سبيل مصلحة تلك الأمّة النبيلة التي كان من عنايتها بهذه البلاد وسكّانها منذ القديم ما اكسبها حقوقاً مقدّسة فيها . وهذا ما دفعها الى تجشّم المشقّات وتكبّد النفقات الطائلة في سبيل نشر المحرّرات السياسية التي تبادلتها الدول بخصوص لبنان تعميماً للفائدة وتبياناً لما لفرنسة من الفضل

والحنان على لبنان واهله . وعندنا ان نشر تلك الكتابات باللغة العربيَّة كان من اهمّ الاسباب لحنق جمال باشا وسخطه على الشقيقين الحازنيَّين فدفعهما الى الموت شنقاً وقد زاد ذلك في علوّ منزلتهما في القلوب ورفعة شأنهما وتقدير فرنسة والبلاد تضحيتهما

وهنا مجال لذكر حادثتين تُبيّنان اجلى بيان الى اية درجة بلغ الشقيقان من الوطنيَّة ومن حُبهما لبلادهما ولفرنسا . بلغهما ما كان في نفس دارولاد (P. Deroulède) الافرنسي الشهير من عواطف الوطنيَّة السامية . ولمَّا اتصل بهما خبر الحكم عليه بالنفي نظم احدهما فيليب قصيدةً عربيَّة رنَّانة طلب الى صديقه المأسوف عليه كل الاسف المطران بطرس شبلي ان ينقلها الى الشعر الافرنسي . فطبع الاصل مع الترجمة وركب البحر الى اسبانية وتوجَّه الى مدينة سان سابستيان حيث كان دارولاد وقدَّم لهُ قصيدتهُ المعبّرة عمَّا كان يكنُّهُ فؤاده من العواطف النبيلة الشريفة . فأجلَّ دارولاد استقبال ضيفه الكريم واثنى على شعوره الثناء العاطر واهدى اليه مع رسمه مجموعة مؤلفاته . وقد شاهدنا رسم ذلك الوطني الافرنسي الصادق يعلو مكتب الوطني اللبناني الكبير

وحين استعرت نار الحرب منذ اعوام بين الدولة العثمانية وايطاليا وأمَّت دارعتان ايطاليتان مياه بيروت ودمَّرت فيها النَّاقتين العثمانيَّتين انقره وعون الله اسفَ الشيخ فيليب كلَّ الاسف لان الضربة لم تكن من فرنسا لانه لم يكن في نظره يحقّ لغير فرنسا ان تأتي عملاً في هذه البلاد

وكأن جمال باشا الظالم ادرك دنوّ الاوان لفوز السياسة التي يسعى وراءها الشقيقان الحازنيان فأمرَ غير مبالٍ بالعفو الصادر بتاريخ ١١ ك١ سنة ١٩١٣ ان تصير محاكمة الشيخين امام ذلك الديوان العرفي الذي اشتهر اعضاؤه بفشهم وجُبنهم وتضحية شعورهم امام ارادة جمال السفَّاح فاصدر عليهما الحكم بالاعدام وبلَّغهما اياه قبل تنفيذه بثلاثة ايام خلافاً لما عومل به سائر المحكوم عليهم . وقد تساءل النَّاس كثيراً ولا يزالون يتساءلون دون جدوى عن مستندات ذلك الحكم الجائر التي ظلَّت مكتومةً رغماً عن انَّ جمال باشا نشر كتيباً بالعربية والافرنسية ذكر فيه اسماء المحكوم عليهم بالاعدام مع الاسباب التي اوجبت الحكم . فكأنه خشي ملامة الرأي العام فلم يأتِ على ذكر شيخينا العزيزين ولا ذكر الاسباب التافهة التي دفعتهُ الى الانتقام منهما

وما انتشر خبر اعدام الشقيقين في البلاد حتى تولت الكآبة جميع القلوب لما كان لهما فيها من الحب والمكانة الرفيعة . ولما كان يُعقد عليهما من الآمال الكبيرة . وقد بكاهما اللبنانيون ندماً لانهما كانا اخبرَ الجميع بمعرفة تاريخ البلاد واشدهم تمسكاً بالوطنية يدلُّ على ذلك منشوراتهما العديدة في تأييد حقوق البلاد . من ذلك ما كتبهُ احدهما فيليب باللغة الافرنسية حينما ارادت الحكومة العثمانية إحداث بعض شرائع وقوانين جديدة في لبنان فبيَّن اجلى بيان ان لبنان مستقلٌ منذ القديم بعدليته واحكامه . وقصارى القول انَّه ما من جهة هجم منها الهاجمون الَّا صادفوا فيها الشقيقين في اوّل خطّ الدفاع معرّضين صدرَيْهما للذبّ عن حقوق وطنها وعن حريته ومن تصفّح مجموعة جريدتها يكاد لا يرى صفحة تخلو من مقالة او نبذة او على القليل كلمة للمدافعة عن المبادئ الصحيحة

من الناس مَن تكون اعتقاداتهم ومبادئهم نظريَّة بحتة فيعملون بكل الطرق على نشرها وتحبيبها غير انك اذا نظرت الى حياتهم لا تراها مطابقةً في شيْ للمبادئ التي يكونون قد ملأوا بها اعمدة الصحف وبطون الكتب . ومنهم مَن اذا اتبع مبدأً من مبادئه عسر عليه العمل بالمبادئ الاخرى . فذلك لم يكن شأن فقيدينا العزيزين فانهما قد ظلَّا حياتهما كلها عاملين بمبادئها الشريفة ولم يكن انهماكهما في الشؤون الوطنية ليُقعدهما عن الاهتمام بامر الدين وواجباتها نحو الخالق كما يعلم كل من عرفهما فعملا بتقليدات العائلة الخازنية المجيدة لم يغفلا قط عن القيام بواجباتها الدينيَّة . بل لم يكتفيا بما هو واجب عليهما من باب الوصيَّة فكانا يعملان ايضاً بما هو من باب المشورات الانجيليَّة كسماع القداس يومياً والمناولة المتواترة وغير ذلك مما كان دليلاً ساطعاً على رسوخ الدين فيهما وخصوصاً في احدهما فريد الذي كان الدين يزيد في مناقبه الطبيعية بهاءً وجمالاً يحمل مَن يدنو منه على حبّه حبًّا مشفوعاً بنوع من الاحترام . ولم يكن ليغرب عنه انَّ كثيرين لطيشهم وقعوا في حبائل صفاتهم الطبيعية فأفرط في السهر على نفسه سهراً حفظ فضيلته من كل شائبة

وقد تجلَّت فضيلة هذين الشهمين بأبهى مظاهرها ابَّان الحرب العمومية ولاسيما في الايام الاخيرة من حياتهما في سجن عاليه فما استعرت نيران الحرب حتَّى فقها ما كان يبطنه الاتراك من الشرّ لهذه البلاد وما عتمت ماجريات الامور ان اظهرت صحة

تخوفهما . فما لبث الجوع ان عضّ بعض العائلات بنابهِ وكان فيليب وفريد اول من فكّر في الاقتصاد بالمعيشة ليتمكنا من مساعدة بعض المعوزين بما كان يتوفر لديهما من هذا الاقتصاد . وكثيرون من القراء قد شاهدوا بأم العين ما كانا يوزّعانهِ في تلك الآونة الضيّقة على الفقراء اللاجئين الى جونه . وما لبث ان حذا حذوهما بعض اقاربهما الخازنين الكرام فتناوبوا توزيع الطعام على الفقراء يوميًّا الى ان كان من طول مدة الحرب ما جعل الخازنيّين في ضيقةٍ كغيرهم

علم الكل ما كان من خمول السلطان محمّد رشاد وانتقال الحكم من يدهِ في اول الحرب الى زمرة الثلاثة طلعت وأنور وجمال واقتسامهم المملكة العثمانية . وكان نصيب جمال منها سورية والبلاد العربية . ولدى وصولهِ توسّل بالإرهاب للبلوغ الى غايتهِ واتخذ له اعوانًا من تلك الفئة السافلة التي تعرّى أفرادها من الشهامة والشعور الوطني فاخذوا يدسّون الدسائس لمواطنيهم ويعملون على الايقاع بهم بالتقريرات الزورية التي كانوا يرفعونها الى جمال . فبدأ هذا بأن أبعد تراجمي قنصليات الدول المتحاربة في المدن السورية ولم يشفق على المريض والمسنّ منهم . وقد لقي بعضهم حتفهُ في منفاه كالمرحومين حبيب دوناتو ترجمان قنصلية فرنسا في الشام وعزيز الفيحاني ترجمان قنصلاتو روسيا في بيروت وغيرهما

على ان الشيخ فيليب لم يكن الّا ترجمانًا فخريًا لقنصليّة فرنسا في بيروت وكانت المرحومة والدتهُ في مرضها الاخير ومع هذا اصابه ما اصاب غيرهُ وتقرّر إبعادهُ الى قيسارية غير انه عند بلوغه مدينة حلب صدر الامر ان يبقى فيها فظلّ هنالك الى ان توفيت والدته فرُخص له بحضور دفنها . ولكن ما وارَوها رمسها حتى طُلب مع شقيقهِ الى الديوان العرفي في عاليه . وقد حضر الشقيقان امام هيئة ذلك الديوان ومثلوا غير هيّابين لدى اعضائهِ الذين يأبى القلم تسطير ما اتوه من المظالم التي لا يحيط بها وصف والذين اقلُّ ما يقال عنهم انهم ظلّوا خمس سنوات يلعبون بحياة نخبة رجال هذه الديار لعب الطفل بالأكر . وكانت سجون عاليه ملأى بأمثال فقيدَينا من صادقي الوطنية . وما استُنطق الشيخ فيليب واخوه حتّى تحقّق لديهما سوء نيّة القضاء وانهما صائران الى ما كان قد صار اليه نخبة من رجال سورية ولبنان الذين كانوا موقوفين معهما وسيق بعضهم الى الشام والبعض الآخر الى بيروت حيث تنفذ فيهم

حكم الاعدام كشفيق المؤيد والزهراوي ورفاقهما الذين سيذكر السوريون طويلاً جرأتهم وتقديمهم حياتهم ضحيةً للوطن التاعس . فبدماء اولئك الابطال استحقت البلاد ان تطهّر من العنصر التركي ومفاسده

ولا بدَّ لنا هنا من ان نُثني ثناء عاطرًا على وطنية اخواننا المسلمين العرب الذين رغماً عن الروابط الدينيّة التي ترطهم بالاتراك لم يُخدعوا بعواعيدهم العرقوبيّة بل استاءوا اشدَّ الاستياء مما اتوه من المظالم وارتكبوه من الجنايات الفظيعة وشرعوا يهتمّون الاهتمام كلهُ لمستقبل البلاد . والذي ساعد على ذلك كل المساعدة ومن حيث لا يدري انما هو جمال باشا . فسياستهُ الحرقاء وهمجيّة اسلوبه حفرت بين العرب والاتراك هاويةً عميقة فصلت بين العنصرين انفصالاً ليس بعده اتصال

قلنا ان شهيدينا علما من الجلسة الاولى سوءَ نيّة قُضاتها ومذ ذاك الحين تدرّعا بالصبر الجميل وبفضل ما امتازا به من التديُّن والوطنية وشهامة النفس اخذا ينتظران الموت برباطة الجأش غير مكترثين الّا للتأهب للاقاة الخالق فلم يكونا يتناولان من الاطعمة المرسلة اليهما الّا ما يكفي لحفظ حياتهما والباقي كان يجودان به على الفقراء . وكان كتاب الاقتداء بالمسيح سميرهما في كل تلك المدة فلم يكونا ينقطعان عن الصلاة الّا الى التأمل والهذيذ بآياته المجيديّة التي كان بعضها يوافق حالتهما اشدَّ الموافقة فيشتد عزائمها اذ يبدد عنهما الكروب الزائلة ويُفرح قلبهما بالخيور الابدية . وقد شهد الكاهن الذي ساعدهما في ساعتهما الاخيرة انهما تأهّبا للموت تأهب الابرار فاقتبلا الزاد الاخير بكل خشوع واخذا ينعشان في قلبيهما شواعر التوّقان الى الوطن السماوي . وعند ما اقتادهما الجند الى المحلّ المعدّ لإعدامهما اجتازا المسافة تاليين طلبة العذراء عليها السلام . ولمّا بوشر بتلاوة الحكم عليهما لاح لاحدهما ان اخاه يتمتم ليفهم شيئاً من النصّ التركي علّهُ يعرف السبب في إعدامهما فقال له اخوه : « لترفع قلوبنا وعقولنا الى العلاء يا اخي ولندع الناس يقرأون ويحكمون كما يشاؤون » . ثم ما لبث ان قُضي الامر وطارت روحها الى الخالق فاصيب لبنان بخسارة اثنين من أخلص واعزّ بنيه وفقدت فرنسة بهما شهمين كانت قد اختبرت اخلاصهما وامانتهما وتناولت الخسارة فيهما الدين ايضاً لانهما كانا من اشدّ انصاره يحيّانه الى الناس باقوالهما ولاسيما بمثلهما

قلنا وتأييداً لما تقدم نثبت هنا بعض فقرات من وصيتهما الاخيرة

• • • فيليب وفريد الخازن وهما على اهبة ركوب السفر الطويل الى امام الديان الرهيب يسألان سيادة المطران عبدالله خوري النائب البطريركي صلواته المقبولة لديه جلَّ شأنهُ ليرحم نفسيهما الفقيرتين بالاعمال الصالحة فيكون له الفضل دنيا واخرى . ثمَّ يرجوان ان يحيط الغلام (وهو كلوفيس ولد احدهما فيليب) وعائلتيهما بذات العناية والالتفات اللذين متعنا بهما ويسهر على تربيته وتلقينه الآداب والعلوم الصحيحة عملاً بالمبادئ الدينيَّة موجباً على والدته ان تسهر بعين لا تنام على إبعاده عن العشرة الرديَّة المفسدة للاخلاق لان التربية الاولى هي الاساس المتين الذي يبنى عليه مستقبلهُ ديناً ودنيا . على انه اذا كانت دعوته للكهنوت فعلى سيادته تتكل باقناع والدته بعدم معارضته . (ثم يسألان المساعدة على ايفاء الديون ابراء لذمتهما . . . . .) وقصارى القول نرجو ان يعمل ما هو موافقاً لبراءة ذمتنا ومصلحة الغلام وراحة بال قرينتينا المتكودتي الحظ ونسأل الله ان يكافئهُ عن اعماله هذه اضعاف حبَّات الرمال

• وقبل الختام نسأل سيادة عبدالله مغفرة على ما حمَّلناه من الاثقال بنا وبعائلتينا بعد براحنا هذه الدنيا ونشكر له كلَّما ابداه وشقيقهُ معنا من المروَّة النادرة والمساعدة والحب والاهتمام بنا والفضل ونسألهُ ان يظلِّل الغلام بعنايته ويشملنا وغبطتهُ وسائر الاساقفة والكهنة اصدقائنا بالصلوات . عن سجن عاليه في ٤ حزيران سنة ١٩١٦ بعد ظهر الاحد

ولدك	ولدك
فريد تعدان	فيليب تعدان
الخازن	الخازن

اوصيك بعائلتنا وان كان لا لزوم لهذه الوصية فريد

المحاورة الدينيَّة

التي جرت بين الخليفة المهديّ وطيماثاوس الجاثليق (تتمَّة)

فلكنا المظفَّر قال لي: لماذا انتم تسجدون للصليب ؟

فجاوبتهُ قائلاً: اننا نسجد للصليب لانهُ علَّة الحياة